في أهمية تقاطع الاختصاصات وتكاملها في العلوم الإنسانية والاجتماعية*

The importance of the intersection and the complementarity between human and social sciences

* أنجزت هذه الدراسة في نطاق أشغال» مخبر البحث في أسس المعارف الحديثة وتقنياتها» الناشطة صلب وحدة البحث بحوث في التنوير والحداثة والتنوع الثقافي الناشط في المعهد العالي للعلوم الإنسانية جامعة تونس المنار.

د. النوري الأديب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس (تونس)

ملخص: تحاول هذه المقالة مناقشة إشكالية مركزية، منطلقها أن بعض الباحثين يعتقدون في تمثلات "معرفية" ويتلبسون بها إلى أن أصبحت عوائق ابستمولوجية تعيق تشكل المعرفة العلمية الاجتماعية. بداية سنسعى إلى تبيّن المعنى المقصود من مصطلح العلوم الإنسانية والاجتماعية، والظاهرة الاجتماعية، ثمّ البحث في الأشكال الجديدة من البحوث البينية، فقراءة في تاريخية مصطلح البحوث البينية، كما سيكون سعينا متجها إلى محاولة تجسير الفجوة بين التخصصات، وصولا إلى تبين المشروعية المعرفية لتعدد الاختصاصات وتكاملها في العلوم الإنسانية والاجتماعية واستحضار مناويلها ومقارباتها النظرية والمنهجية في إدراك العالم الاجتماعي، معتبرين أن مقاربة التغيرات الاجتماعية، لا يمكن أن تتم بالانغلاق على رؤية ضيقة متمركزة حول ذاتها، بل برؤية منفلتة من عُقالها قادرة على قراءة واقعها بمقاربات بينية، أكثر عمقا وشمولية، ولذلك عدنا إلى بعض التمفصلات والسيرورات المهمّة من تاريخ العلوم الاجتماعية والتي تبين تكامل التخصصات وتقاطعها.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإنسانية والاجتماعية– الظاهرة الاجتماعية – البحوث الأساسية– البحوث البينية.

Abstract :

This article, tries to discuss a problematic issue that some resarchers believe in cognitive representations that they have become epistemological barriers in the formation of scientific social knowledge. First, we will try to clarify the intended meaning of human and social sciences, and the social phenomenon, then a search for new forms and a historical reading of inter-research, as we will try to bridge the gap between the disciplines up to the identification of the cognitive legitimacy of the complementarity between human and social sciences and to clarify its theoretical and methodological approaches to the realization of the social world, considering that the approach to social changes cannot take place by closing on a narrow vision centered around itself, but rather a loose view of its minds capable of reading its reality with deeper approaches, and therefore we returned to some important processes from the social sciences' history that show the complementarity and intersection of disciplines

Key words : humanities and social sciences - social phenomenon - basic research - inter-research.

مقدمة.

قد تحيل القطيعة بين حقول المعرفة العلمية إلى قطيعة ابستيمولوجية ونسف لمجمل المرجعيات والمراجعات الفكرية، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية مثلها مثل التخصصات المتعدّدة والمتداخلة والتي تتكاثف فيها مجموعة من العلوم وتتقاطع، فالتوزع الذي تعرفه هذه الحقول المعرفية، والتي تتموقع تاريخيا

بين البيولوجي والاجتماعي بين الطبيعي والثقافي بين الأنثروبولوجي والاجتماعي، جعلتها ملتقى الكثير من التخصصات العلمية، ولا يمكن عزلها عن محيطها المعرفي والاجتماعي.

نسعى فيما سيأتي في هذه المقالة إلى تقديم قراءة على التكامل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، معتبرين أن مقاربة قضايا التغير الاجتماعي المنفلت والسريع الإيقاع، لا يمكن أن تفسر وتفهم بالانغلاق على رؤى اختصاصية – ضيقة، مفارقة لواقعها، بل هي استدعاء لمقاربات وأدوات ومناويل بينية، تستطيع هندسة رؤى أكثر عمق وشمولية. وتؤثث لمشهدية علمية اجتماعية وإنسانية متعدّدة المواقع تعلي من مبدأ وحدة المعرفة وتكاملها.

فما المقصود بالعلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وماذا نعني بالظاهرة الاجتماعية؟ ما الذي نعنيه بالبحوث الأساسية والبينية؟ ما المسار التاريخي المعرفي للدّراسات البينية؟ وكيف يساهم هذا التكامل في تجسير الفجوة بين الاختصاصات العلمية الاجتماعية وتقديم رؤية متكاملة للإنسان والمجتمع؟ وما هي المشروعية المعرفية لتعدد الاختصاصات وتكاملها في إدراك العالم الاجتماعي؟

1- في معنى العلوم الإنسانية والاجتماعية.

في معناه الضيق، يشير مصطلح العلوم الإنسانية والاجتماعية، إلى عدّة تخصصات أكاديمية تهتم بالإنسان وبالمجتمع وعلاقات أفراده، ويدرس بنيتهم الاجتماعيّة والثقافيّة، كما تعرف أيضا بالعلوم الرخوة (soft sciences) في مقابل العلوم الصلبة (hard sciences) وتعتمد مناهج كمية وكيفية وتقنيات بحثية تجريبية، [1] ويشير في معناه الواسع إلى علوم كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والدراسات الثقافية والعلوم السياسة...، وكغيرها من العلوم تأثرت العلوم الإنسانية والاجتماعية بمؤثّرات عديدة، كان التخصّص أبرزها وتجلى أكثر مع توسّع الثورة الصناعيّة وتقدّم البحث العلمي، وتنازع الهويات في عالم متوتر سريع التحول والتشظي.[2] فتعدّدت حقولها وتنوعت مراكز اهتماماتها، بهدف تمثل سيرورات إنتاج الثقافات وصيرورات التغير الثقافي.

وإذا ما استحضرنا الحوار الإبستمولوجي الخصب والمركز على علومية العلوم الإنسانية والاجتماعية والتي ظلت متأرجحة بين النفي والإثبات وهو ما يترجم ولا شك البدايات الصعبة لعلوم تسأل الإنسان، لذلك كنّا إزاء مقاربات حاولت أن ترسم موقعها الخاص. وبما أنّ الخطاب العلمي يرصد الأزمة ويتمثل الراهن عمدت عديد المقاربات إلى تقديم تصور يحدّد الإنساني من خلال رهانات تتحدد وفق الإبستيمية (الأرضية المعرفية لبلورة المفاهيم) التي ينتهي إليها الباحث ووفق لحظته التاريخية والهاجس الذي يسكنه،

1 Robert A. Nisbet. (23/3/2019). "Social science" ENCYCLOPÆDIA Britannica, Retrieved 10/3/2020.from.URL. https://www.britannica.com/topic/social-science

2 Gregg Maloberti .(24/3/2019). "The Importance of Social Sciences" ،Retrieved 21/4/2020.From.URL. https://scholar.google.com/scholar?q=Gregg+Maloberti

في الطبيعة والكون شأن التمثلات المعرفية التي أنتجتها العلوم الاجتماعية. هذا التنوع في أبعاد الظواهر الإنسانية جعل المقاربات العلمية، فضاءات معرفية حاملة لهموم الذات وهموم الأخرين.

2 – في معنى الظاهرة الاجتماعية.

هناك عديد التعريفات التي تقع على خطوط التماس بين عدة حقول معرفية ولعل من أكثرها شيوعا في الأوساط العلمية السوسيلوجية هو تعريف (اميل دوركاهيم Émile Durkheim 1858 –1917) الذي يرى أن الظاهرة الاجتماعية هي كل سلوك ثابت أو غير ثابت يمارس قهرا على الأفراد أو هو كل سلوك يسود في المجتمع ككل ولها وجود خاص ومستقل عن الحالات الفردية [3] .

في حين أشار عبد الرحمان ابن خلدون (1332هـ–1406 هـ) ضمنيا إلى مفهوم الظاهرة الاجتماعية مستعملا مصطلح العمران للإشارة إلى مجموعة واسعة من ظواهر الاجتماع الإنساني، تشمل المجتمع البدوي والحضري والدول والخلافة والملك والصنائع والمعاش.... وما ينتجه البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش...« اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلّبات للبشر بعضهم على بعض ..... وسائر ما يحدث في ذلك العمران طبيعته من الأحوال" [4] .

ومع ذلك، وخروجا من جدل المفاهيم نرى أن الظاهرة الاجتماعية معقدة ومركبة ومتداخلة ومتشابكة، يعانق بعضها بعضا، إلى درجة يصعب عزل أحد أجزائها عن الكلّ (التاريخية والاقتصادية والأنثروبولوجيا والثقافية...) تتغير باستمرار وتختلف باختلاف العوامل المحددة. وهي ظاهرة نسبية تختلف باختلاف الإطار الزمكاني والثقافي، وباختلاف الذوات الفاعلة.

3 – نحو أشكال جديدة من البحوث البينية.

حتى نفهم المعنى المقصود بالبحوث البينية من الضروري بداية الإشارة إلى مصطلح البحوث الأساسية.

3 – 1 البحوث الأساسية. وهو مصطلح يستخدم لوصف التخصصات ذات المجالات الدراسية المستقلة، ويمكن النظر إليها على أنها "صناديق" مغلقة (وإن يسهل اختراقها أحيانا). وهي« عبارة عن مجموعة من المعارف التي لها كيان ذاتي مستقل ومعروف قائم على أسس ومبادئ [5]، لها قواعدها ومنهجيتها وإجراءاتها، ويشير معجم المصطلحات التربوية والنفسية أنها « بحوث تهدف إلى الكشف عن النظريات

3 Durkheim, Émile .(1967). *Les règles de la méthode sociologique*. Paris. PUF.

4 ابن خلدون، أبو زيد عبد الرّحمان بن محمّد. (1988). **العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الجز الثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي. ص.ص.261-271.

5 Maura Borrego & L. K News W. (2010). Defintion of Interdisciplinary Research: *toward, the Review, Of higher Education*. Vol,34 Number (1). P.64. Retrieved from URL. https://vtechworks.lib.vt.edu/bitstream/handle/10919/25471/34.1.borrego.pdf.

والمناهج التي تحكم العملية التربوية...كما أنها تُعنى بالأسس النظرية أكثر من التطبيقية، وتهتم بالدرجة الأولى بالبحث عن التعميمات والمبادئ العلمية التي تُبنى عليها المعرفة في المجالات المختلفة » [6].

3-2 البحوث البينية. وجدنا في مقال تصنيفي نشر بالإنجليزية سنة 2010 وترجم إلى الفرنسية سنة 2011 [7]، المصطلحات التالية: تخصصية بينية موسوعية، تخصصية مختلطة، بينية سياقية، بينية تكميلية، بينية تعميمية، بينية مفهومية، بينية إدماجية ... إلخ، وحينما ننظر في شروحات هذه المصطلحات نلاحظ أن بعضها يتصل بالتخصصات المتعددة وبعضها الآخر يندرج في الدائرة المفهومية للتخصصات المتجاورة أو العابرة.

وفي استعراض نقدي للأدبيات الغربية في العلوم الاجتماعية، عثرنا على أكثر من 500 مصدر منشور متعلق بالتخصصات البينية، منها 42 مقالة معنية بالبحث في تعدّد التخصصات والبعض الآخر اهتم بجوانب أخرى من التخصصات المتعددة[8].

وبشكل عام، ظهر مصطلح البحوث البينية من داخل المجالات التربوية والتعليمة لوصف الدراسات التي تستخدم أساليب ومقاربات بينية [9] وتوصف بأنها بحوث عابرة للحدود التقليدية بين التخصصات الأكاديمية، وذلك بسبب ظهور احتياجات ومهن جديدة [10]. كما تسعى البحوث البينية إلى دمج العديد من البراديغمات والنظريات والمهن، في مجموعات بحثية متشابهة التفكير، لهما قواعد سلوكية وقيم معرفية متشابهة.

ويجرى التمييز عادة بين التخصصات المتعدّدة أو البينية أو العابرة أو الجامعة للاختصاصات، أمّا المصطلح الشائع والأكثر رواجا هو Interdisciplinarité ويُستعمل للدلالة عليها أيضا مصطلحات أخرى من قبيل / pluridisciplinarité / polydisciplinarité / multidisciplinarité /

---

6 شحاتة، حسن والنجار، زينب. (2003). **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية. ص.67.

7 Thompson Klein, Julie. (2011). « Une taxinomie de l´ interdisciplinarité ». *Nouvelles perspectives en sciences sociales*.vol.7 (1) .dans . NPSS. Publisher(s) Prise de parole. PP. 15–48. Repéré à.URL. https://id.erudit.org/iderudit/1007080ar
.DOI: https://doi.org/10.7202/1007080ar

8 Aboelela, S. W., Larson, E., Bakken, S., Carrasquillo, O., Formicola, A., Glied, S. A., et al. (2007). Defining interdisciplinary research : Conclusions from a critical review of the literature, *Health Research and Educational Trust*. 42 (1). PP. 329-346. Retrieved From URL. https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/17355595

9 Davies. M. and Devlin, M. (2007). Interdisciplinary Higher Education : Implications for Teaching and Learning. Centre for the Study of Higher Education, The University of Melbourne. Retrieved from.URL. https://pesa.org.au/images/papers/2007-papers/davies2007.pdf

10 Augsburg, Tanya. (2005). Becoming Interdisciplinary : An Introduction to Interdisciplinary Studies (Kendall/Hunt) Retrieved from. URL. https://books.google.tn/books?hl=id=0XU5IOC39-8

Transdisciplinarité [11] . والسوابق الملحقة باللّفظ الرئيسي (pluri و multi و poly و Trans و Inter) تعني كلها الكثرة والتعدّد مع بعض الفروقات الدلالية الممكنة.

ونحن سنعتمد في مقاربتنا ثلاثة اتجاهات وهي كالآتي:

3-2-1- الدراسات البينية: (Interdisciplinarité) [12] وهو المصطلح الأكثر شيوعا، وتعرف بأنها دراسات تعتمد على أكثر من اختصاص في حقول المعرفة العلمية، التطبيقية أو النظرية. « وهي عملية يتم من خلالها الإجابة عن بعض الأسئلة أو معاجلة قضية معرفية، يصعب التعامل معها عن طريق تخصص واحد » [13] وليس الهدف مجرد جمع وتنضيد لرؤى بحثية، وإنما التفاعل والتبادل والتعاون على كشف جوانب أخرى من موضوع البحث نفسه. وبناء على ذلك، فالدّراسات البينية هي عبارة عن تصورات ورؤى وافتراضات قد تكون في صورة بحوث علمية أو دراسات نظرية داخل تخصص علمي واحد، مثل حقل علم الاجتماع العام، فعلى سبيل المثال علم الاجتماع الحضري، وعلم اجتماع التنمية، وعلم اجتماع الاقتصاد، وعلم الاجتماع الريفي... كما يمكن النظر إليها على أنّها نمط من البحوث يعتمد على التكامل والمزج بين البيانات والمعلومات والمناهج والأدوات والمفاهيم والنظريات، من خلال فرعين أو أكثر من فروع المعرفة "ويقصد به حرفيا العمل المشترك.

3-2-2- الدّراسات العابرة: (Transdisciplinarité) [14] . وهو يعني ما بين التخصصات وما هو عابر وما هو مجاوز لها في آن، وهو مؤشر على ظهور أنظمة معرفية قادرة على" إزالة الحدود الأكاديمية الضيقة" [15] .

ولذلك يلاحظ "بياجي" (Jean Piage1896-1980) أن التخصصات العابرة هي الربط بين حقول المعرفة، ويأمل في أن تكون نظرية عامة شاملة لمختلف الأنظمة والبنى وما تتضمنه من إمكانات

11 Max-Neef, M. A. (2005). *Commentary: Foundations of transdisciplinarity, Ecological Economics* Volume 53, numéro 1. PP 5-16. Retrieved. From. URL https://doi.org/10.1016/j.ecolecon.2005.01.014 .

12 Field, M., & Lee, R. (1992). "Assessment of interdisciplinary programs ". In. *European Journal of Education*. 27. (3). PP. 277- 283. Retrieved from URL. https://scholar.google.com/scholar?q=Field,+M.

13 Klein, Julie. Thompson. & Newell, William. H. (1998)." Advancing Interdisciplinary Studies". In William H. Newell. (Ed.), *Interdisciplinarity: Essay from the Literature*. New York: College Entrance Examination Board. PP 3. Retrieved from URL.https://www.academia.edu/755658/Interdisciplinary_studies

14 Max-Neef, M. A. (2005). Commentary...Op.cit.

15 Davidson, M. (2004). Bones of contention: Using self and story in the quest to professionalize higher education, an interdisciplinary approach, *Teaching in Higher Education*, 9(3), pp. 299-310. Retrieved. From. URL https://www.researchgate.net/publication/248966458_Bones_of_contention_using_self_and_story_in_the_quest_to_professionalize_higher_education_teaching_-

واحتمالات [16] . وإذا كان الهاجس العلمي في تحديد المفهوم يبدو مهيمنا على محاولة "بياجي"، فإن هواجس (نيكولسو Nicolescu)، قد كانت علمية وثقافية وروحية. فهو يذكرنا بأن المنهجية العلمية الحديثة قامت على الفصل بين الذات والموضوع والقطيعة بين العلم والمعرفة.. وقد ترسخ ذلك بفعل المنظومة التخصصية وتجلى خاصة في ثنائية، العلوم الصحيحة (الصلبة) والعلوم الإنسانية (الرخوة)، وكأن العلوم الإنسانية غير دقيقة، والعلوم الصحيحة هي علوم غير إنسانية، وهو ما أنشأ في رأيه ثقافتين: ثقافة ذات نزعة إنسانية، وأخرى علمية–تقنية تمزج بين العلوم الإنسانية والتكنولوجيا وهذه "الثقافة الجديدة" هي مصدر القوة اللاعقلانية للعولمة دون ملامح إنسانية. [17]

3-2-3- الدّراسات المتعدّدة(Multidisciplinarité) [18]وهي على نقيض البحوث البينية، تتطلب أكثر من تخصص وتجمع باحثين في مجال اهتمام مشترك دون التكامل التام بينهم. لمعالجة ظاهرة ما لا يمكن أن تحلّ باختصاص واحد...، وهذا يعني إسهام العديد من التخصصات البحثية في موضوع محدّد من منظور متخصص، ومن الأمثلة على ذلك إسهام علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء النفس في دراسة الظواهر الاجتماعية، وفي هذه الحالة، سوف تتعدد المنظورات العلمية. ومن الأمثلة على ذلك تعاون الباحثين في علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع في معالجة مسائل من قبيل الإخفاق أو التسرب المدرسي... لفهم الموضوعات ذات الاهتمام المشترك. [19]

وبناء على المناقشة المفهومية أعلاه، يمكننا وضع تعريف للدراسات البينية، بأنها حقل معرفي نشأ من تداخل عدة حقول معرفية وبحثية تقليدية وغير تقليدية فرضتها طبيعة الظواهر الإنسانية والاجتماعية ومتطلبات عصر المعرفة والمعلومات. كما يمكن تعريفها بأنها "عملية ربط وتكامل بين المدارس الفكرية والمهنية والتقنية للوصول إلى مخرجات بحثية مبنية على العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية. وتعرف وظيفيا بأنها « دراسات تسعى إلى زيادة القدرة على عرض القضايا وتحليلها وتبويبها ودمج المعلومات

16 Piaget, Jean. (1972). « l´épistémologie des relations interdisciplinaires », dans: *L'interdisciplinarité: problèmes d´enseignement et de recherche dans les universités*, Paris, OCDE. Version publier en 1974 dans Internationales Jahrbuch für interdisziplinäre Forschung. vol.1, pp. 154-172. [version électronique réalisée par les soins de la fondation Jean Piaget. Repéré à URL http://www.fondationjeanpiaget.ch/fjp/site/textes/VE/jp72_epist_relat_interdis.pdf

17 Nicolescu, Basarab. (2011). « De l'interdisciplinarité à la transdisciplinarité » : fondation méthodologique du dialogue entre les sciences humaines et les sciences exactes Sur le thème de l'interdisciplinarité Volume 7, numéro 1, Octobre 2011. PP.89 – 103. Repéré à URL.https://www.academia.edu/32340454/De_l_interdisciplinarit%C3%A9_%C3%A0_la_transdisciplinarit%C3%A9_fondation_m%C3%A9thodologique_du_dialogue_entre_les_sciences_humaines_et_les_sciences_exactes

18 Max-Neef, M. A. (2005). *Commentary : Foundations of transdisciplinarity*.....Op.cit. https://doi.org/10.1016/j.ecolecon.2005.01.014 .

19 Aboelela, S. W., Larson, E., Bakken, S., Carrasquillo, O., Formicola, A., Glied, S. A., et al. (2007) Defining interdisciplinary ...Op.cit. https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/17355595

ومعالجتها في مساحات متعددة الأبعاد لتحديد المشاكل والحلول من خارج الاختصاص الضيق. الدراسات البينية تحقق عمق المعرفة وشموليتها » [20] وتبحث عن صيغ للتواصل بين مختلف أكوان الذات الإنسانية، من أجل أن تترسخ لدى الباحث والمتعلم قيم تعدد المنظورات وتفاعلها وتكاملها، فلا تستقطبه مناهج أحادية، أو تخصصات مغلقة.

4 – البحوث البينية: قراءة في تاريخية المصطلح.

التباين و"الغلو" أحيانا في تخصص العلوم الإنسانية والاجتماعية جعل بعض فروعها تنغلق على مجالها البحثي، وحتى في صلب الاختصاص الواحد نجد علوما جدّ متخصصة ومتفرعة (علم اجتماع الآدب، وعلم اجتماع المعرفة وعلم النفس الاجتماعي، وعلم اجتماع التنمية، .....) ومن جهتها تناولت هذه العلوم الإنسان وظواهره من زاوية ذرية تجزيئية، ومما زاد المسألة تعقيدا ظهور نزعات اجتماعية محافظة ذات تراث دوركايمي محافظ ... وهو ما كان وراء حضور الإنسان وثقافته كأجزاء وغيابه كوحدة، لكن هذا لا يبخس من قيمة محاولات جادة تسعى إلى المزج بين الاختصاصات المتعدّدة في اتجاه مقاربة متكاملة للظواهر والوقائع.

وبشكل عام، يمكن القول إن النقاش حول تعدّد التخصصات وتداخلها والعلاقة بين العلوم وقضايا المعرفة والثقافة مطروح في دوائر النشاط العلمي والعملي والمهني والأكاديمي.. فلسنوات عديدة دأب المجتمع العلمي، على مواجهة تفكك العلم، نحتاج فقط إلى التفكير في مبادرات اليونسكو: مؤتمر "تسكوب" باليابان (1984) حول العلم والتأليف science et synthèse) والعلوم وحدود المعرفة"، "بالبندقية" بإيطاليا للعام 1986، ومؤتمر قرطبة بإسبانيا (1989) حول العلم والوعي (Science et conscience) و"مفترق طرق العلوم" في العام 1990 (اليونسكو، 1990) والمؤتمر العالمي الأول حول " التخصصات العابرة " [21] الذي عقد من 2 إلى 6 نوفمبر 1994 في سيتوبال(Setubal) بالبرتغال، [22]. وأيام دراسية وحلقات نقاشية بتونس في مخبر البحث في أسُس المعارف الحديثة وتقنياتها الناشطة صلب وحدة البحث بحوث في التنوير والحداثة والتنوع الثقافي بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية للعام 2020. هذا فضلا عن عدد من الأساتذة الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية. والذين أجمعوا على أهمية هذا اللّقاء وضرورة

20 Veronica, Boix M, & Howard G. (2003). *Assessing Inter Disciplinary Work at the Frontier: An Empirical Explo ration of Symptoms of Quality. Cambridge*: Project Zero, Harvard University. P P. 30. Retrieved from URL https://pz.harvard.edu/who-we-are/people/veronica-boix-mansilla

21 صدر هذا الميثاق المتكون من ديباجة وخمس عشرة مادة عن المؤتمر الأول للتخصصية المتجاوزة المنعقد في البرتغال بنن 2 و6 نوفمبر 1994 صدر هذا الميثاق المتكون .وكانت لجنة الصياغة متركبة من: ليما دي فريتاس وإدغار موران وبزاراب نيكولسكو. وهو منشور على الشبكة بلغات عديدة ومنها العربية في المركز العالمي للأبحاث والدراسات العابرة للتخصصات . (CIRET) . http://ciret-transdisciplinarity.org/chart.php.

22 Pahre, Robert et Dagan, Mattei. (1991). *L'innovation dans les sciences sociale - La marginalité créatrice* .1er éd. Paris. PUF. P.208.

الانتقال به إلى مستوى الطقس الاعتيادي في الأنشطة البحثية للمخبر، اعتبارا لثقافة الأصوات المتعددة، في إغناء الممارسة البحثية بتونس وتطويرها.

كما مثلت سنوات الأربعين من القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية بداية ظهور مصطلح تعدّد الاختصاصات (interdisciplinarité)، وفي سنوات الخمسين والستين من نفس القرن، أصبح يطلق على العلوم ذات الأبعاد المتعدّدة الاختصاصات، وكانت هذه المقاربة المنهجية تطبق على ظواهر ثقافية مركبة، ومرتبطة بأبحاث تحتاج إلى التعدد في العلوم والمناهج، مثل السوسيولوجيا، وعلم النفس والتاريخ.... ومع سنوات السبعين والثمانين من القرن نفسه أصبحت الجماعات العلمية تناقش المقاربات المتداخلة (interdisciplinarité hétérogènes) أو (Intégratrice) جنب إلى جنب مع مصطلحات أخرى لا تخرج عن مفهوم تعدد التخصصات، من مثل(Multidisciplinarité) و(Transdisciplinarité) و (Pluridisciplinarité) وتعدّد التخصصات (interdisciplinarité) . في كتابيهما " التجديد في العلوم الاجتماعية الهامشية المبدعة" [23]، وعلى الرغم من تحفظهما على مفهوم التداخل المعرفي في غياب تحاليل دقيقة لمصاره، يؤكد "روبار باهر" و"متاي دوقان"(Robert Pahre et Mattei Dogan) على أن العلوم الاجتماعية من أكثر الاختصاصات المتجاوزة والعابرة لحدودها، والمتفاعلة مع تخصصات أخرى أو ما يسميه الباحثان بتخصصات ما وراء الحدود.

بيد أن حوارية العلوم الإنسانية والاجتماعية بدأت مع الفيلسوف الفرنسي "إدغار موران (Edgar Morin, 1921) و"جون بول روسبير" (Jean–Paul Reswebe 1941) خصوصا بعد صدور كتابه "المنهجية المتعددة التخصصات" (La Méthode interdisciplinaire1989) وهي مقاربة تعتمد الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والرياضيات ... وتتسم بالانفتاح على بقية حقول المعرفة.

ولترسيخ الوعي العلمي بتداخل الاختصاصات وخاصة منها العلوم الإنسانية والاجتماعية، تناول "موران في مؤلفه الموسوم "الربط بين المعارف: تحدي القرن الحادي والعشرين (Relier les connaissances Le défi du XXI e siècle) ما ظهر في حقول المعرفة منذ خمسينات القرن الماضي، موضحا أنها أصبحت تتجاوز حدودها الضيقة من خلال انتقال المقولات والمفاهيم، [24] وقد عمق أبحاثه عن التداخل في كتابيه " مدخل إلى الفكر المركب" (Introduction à la pensée complexe) و"الفكر الواعي" (Science avec conscience) ويعني بالفكر المركب في أحد مستوياته، تحطيم أحد مظاهر الفصل بين العلوم، ولكن من دون طموح وهمي في تحقيق معرفة كلية، ويقوم الفكر المركب على قاعدة التعقيد باعتباره مفهوما مركزيا، تدرس من خلاله العلاقات المستعصية بين المستويات المعرفة التجريبية والمنطقية والعقلية، عندها يصبح التعقيد أداة مفهومية مركزية للتداخل المعرفي، بل ويتجاوزه عبر تنظيم

23 Ibid.

24 Morin, Edgar.(1999) *Relier les connaissances Le défi du XXI e siècle*. Paris. Seuil. P.471.

المعرفة في شكل نسق، وتجنب قدر ما أمكن ما يسميه "موران" بالعقل "المغلق" الذي أوصل البشرية إلى تقدم أعمى.[25]

ويلخص المؤلف في مقدمة أطروحته بالقول وكما يوحي بذلك عنوان الكتاب:« ... الفكرة الرئيسية التي سوف نقوم بشرحها، تقول إن التجديد والإبداع في العلوم الاجتماعية يُظهر غالبا نتائج أكثر أهمية إذا كان نتيجة لتجزئة متواصلة للعلوم الاجتماعية، إلى تخصصات فرعية ضيقة، وإلى عملية تأليف جديدة أفقية لتلك التخصصات، وذلك داخل ما نسميه بالحقول أو الميادين المتلاحقة » [26]. بمعنى آخر إنّ ظاهرة التجديد في العلوم الاجتماعية، تكون أساسا من تلاقح العلوم وليس من انعزالها في تخصصات ضيقة « فالنظريات والمفاهيم والقوانين وأدوات البحث ومناهجه تكون نتيجة للتفاعل بين التخصصات، وتداخلها وتلاحقها بل إن التقدم العلمي غالبا ما يكون حصيلة دمج رؤيتين علميتين أو أكثر » [27].

وفي عدد خاص للمجلة التربوية الفرنسية، حاول عدد من الباحثين ضبط العلاقات الموجودة بين تداخل التخصصات، وبين مجالات التربية والتكوين، وخلصوا إلى إيجابيات هذا التداخل على مستوى البحوث العلمية، والبرامج المدرسية وعلاقاتها بالمفاهيم المشتركة... وستطور أكثر مجالات التكامل والتداخل عبر النشر الرقمي، مما يسمح بالتواصل أكثر بين الباحثين والمجموعات العلمية [28] . كما لا يمكن فهم العوالم الإنسانية المتداخلة والمتشابكة مع عوالم الطبيعة والمجتمع، إلا عبر تعدد المقاربات، فتعدد الرؤى يتأسس بحسب " كبرا" (Capra) على نسبية المعرفة وعلى التداخل بين المكون الفيزيائي والبيلوجي والنفسي والاجتماعي والثقافي، في عالم كل أشيائه مترابطة ومتورطة"...[29].

من هنا فنحن في حاجة إلى إلغاء الحواجز المصطنعة بين حقول المعرفة. والبحث عن صيغ جديدة للتواصل بين مختلف أكوان الذات الإنسانية للإجابة، وتحقيق ما أسماه لوكاتش (Georg Lukács 1885-1971) أو غولدمان (Lucian Goldman 1913- 1970) ذات مرة برؤية العالم بالرغم من تحفظات نظرية أو منهجية على استخدام هذا المفهوم في بيئة تداولية مختلفة.

5 – في تجسير الفجوة بين التخصّصات الإنسانية والاجتماعية.

25 Morin, Edgar. (1994). *Sur L'interdisciplinaire bulletin interactif du centre interaction de recherches et études Transdisplinaires*. N 2. Juin .1994 :Repéré de URL: https://ciret-transdisciplinarity.org/bulletin/b2c2.php

26 Ibid., p.11.

27 Ibid., p.35.

28 Lenoir, Yves. Et sauvé. (1998). De l'interdisciplinarité scolaire à l'interdisciplinarité dans la formation à l'enseignement : un état de la question. Dans. Revue française de pédagogie Année. N .125. Octobre, novembre, décembre. pp. 109-146. :Repéré de URL: https://www.persee.fr/doc/rfp_0556-7807_1998_num_125_1_1111

29 Capra, Fritjof. (1983). *Le Temps du changement: Science, société et nouvelle culture*. Rocher. P. 12. :Repéré de URL: https://www.persee.fr/doc/assr_0335-

العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة إنتاجات ثقافيّة تاريخيّة، تحمل في أنساقها صيرورات تاريخيّة، ونشأت كغيرها من العلوم، في بيئات ثقافيّة وفي مراحل تاريخيّة مختلفة والحدود بينها ليست مقدّسة.

وللتذكير نشير إلى أن حقل (الدّراسات الإنسانيةhumanitatis studia) نشأ في نهاية القرن الخامس عشر ليعيّن به الأساتذة الإنسانيون وفق المعايير الأكاديمية في القرون الوسطى وهو ما مثل، منطلقا لربط علاقة بين لفظ (Humanista) ومجموع المعارف الخاصة التي شكلتها الآداب مثل الخطابة، والشعر، والتاريخ، وفلسفة الأخلاق...وخلصت كتابات الإنسانيين الايطاليين للقرن الخامس عشر إلى لفظ (Studia Humanitatis) على أنها تربية أدبية، وكانت برنامجا أدبيا مرتكزا على النحو والخطابة مستقلة عن الدراسات الفلسفية والرياضية والطبية والعلمية واللاهوتية... (30).

وبعد مراحل من الانقسام إلى مجالات أضيق فأضيق، وفي صراع المشروعية العلمية، تُظهر عديد المؤشّرات إلى بروز مآزق ابستمولوجية تدفع نحو إعادة بناء فضاءات جديدة لعلوم الإنسان والمجتمع، عبر الإقرار بتداخلها وتكاملها، حتى داخل الاختصاص ذاته.

في المقابل، مازالت سردية التخصص باسم العلم مسيطرة على حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية. رافضة المقاربات والمناويل البينية أو تلك الجامعة بين تخصصات مجاورة أو المقاربات الجامعة بين تخصصات مختلفة. إذن نحن في عمق الجدل العلمي الاجتماعي. قد يكون التقوقع و"التمترس" داخل أطر منهجية ونظرية حقلية له ما يبرره في الماضي، خاصة في السياقات التأسيسية الأولى للتفكير الاجتماعي حيث كانت هذه العلاقة، ترسم مسارات التفكير ومناهجه وطرحت بقوة مسألة الخصوصية والانطلاق من مقاربات ومعالجات بحثية منغلقة على عوالمها، وتضرب حولها سياجًا من حديد.

وقد يعود ذلك لعاملين رئيسين:

– قد تكون أزمة ذات باحثة، ذلك أن المعرفة العلمية تنمو وتتطور خلال سيرورة الممارسة البحثية الاجتماعية التي تسعى إلى تقديم قراءة علمية معقولة وفعالة للظواهر التي تفرزها الحياة الاجتماعية، ومن خلال هذا التبادل الوظيفي يبقى التفكير الابستيمولوجي يستجيب للتطورات التاريخية التي تمس البنية المعرفية للمعرفة العلمية ويعطي بدوره الشرعية العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

– وقد يعود ذلك لفهم خاطئ لطبيعة التخصص ورسم حدود واهية للمشهدية المعرفية. هذه التصوّرات لا تستقيم في العلوم الاجتماعية على اعتبار أنّه لا يمكن فصل المعرفة وإن تعدّدت أشكالها العلميّة والفلسفيّة عن أطرها الاجتماعيّة التي تنخرط فيها كما يقول "جورج غورفيتش". (Georges Gurvitch 1894-1928). فمقولة التخصص ذات الأسوار العالية سقطت من القرن الماضي، وأن كافة أبحاثنا الراهنة تقع في المساحات البينية. ولكن هذا يبقى رهين نظرة نقدية أبستمولوجية لمناهج بحث العلوم الإنسانية والاجتماعية وتقنياتها وأطرها المفاهيمية و"علوم متعددة المواقع.

30 Kristeller, Paul Oskar.(1975) . *Huit philosophes de la Renaissance italienne*. Trad. A. Denis Genève. P 143.

6 – المشروعية المعرفية لتقاطع الاختصاصات وتكاملها في إدراك العالم الاجتماعي.

رغم ما يبدو من تعارض بين البحوث البينية والبحوث الأساسية "الفردية" من حيث الإنتاجية البحثية، وخاصة في كيفية التعامل مع الأطر الأكاديمية التقليدية في محاولات لإعادة تنظيم الأطر البحثية؟ إذا أزيلت الحدود بين التخصصات. فإن البحوث البينية لا تدعي محو هوية التخصص بل تعمل على تعدّد البراديغمات والمقاربات، وإيجاد قنوات تواصل مع تخصصات أخرى بعيدا عن الأطر البحثية الضيقة. وهو ما يُسهل "الاختراقات" البينية، وتوسيع زوايا البحث لا "تهريب المعرفة" (Trafic du Savoir)، مع الحفاظ على الضوابط العلمية للبناء المعرفي ومقتضياته البحثية.

ويمكن القول إنّ هناك أربعة أدوار مهمّة يمكن أن تلعبها البحوث البينية، وهي:

– إدماج المعرفة وانفتاحها: ونعني به ربط المدارس الفكرية والمهنية والتقنية للوصول إلى مخرجات ذات جودة عالية. على سبيل المثال الانفتاح على تخصصات العلمية الراهنة في علاقة الإنسان وظواهره بمحيطه السوسيلوجي وذلك من خلال إعادة النظر والتفكير في السؤال عن الإنسان بزاوية مغايرة في علاقته بالذكاء الاصطناعي (Intelligence Artificiel) وذكاء الأعمال (Business Intelligence) وعلم البيانات (Data science) والبيانات الضخمة(Big Data) كل ذلك يتطلب درجات أعلى من التخصص.

– الارتقاء بمستوى البرامج التعليمية، ونظام الدراسات العليا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية وتجويدها، ويمكن تفعيل ذلك عن طريق تفعيل برامج الدراسات البينية، ويمكننا الاستفادة من التجارب الأوروبية، أو الأمريكية في هذا المجال.

هناك العديد من الجامعات في العالم تعتمد الدراسات البنية، فجامعة "مونتريال" Montréal " في كندا تمنح شهادات عليا في تخصصات علمية مزدوجة مثل شهادة الدكتوراه في العلوم الإنسانية التطبيقية أو علوم الحاسوب الحيوية، أو علوم الإحصاء الاجتماعية. [31]وتمنح جامعة باترا في بماليزيا " Putra " درجة الماجستير في برنامج الهندسة الطبية الحيوية وبرنامج الفلسفة في هندسة الطيران والفضاء. كما تمنح جامعة "البرتا" في كندا Alberta" درجة الماجستير في هندسة البترول والكيمياء[32]، بالإضافة إلى العديد من الأمثلة الأخرى. إذ يمكن الاستفادة من هذه التجارب المحلية والإقليمية والعالمية في اقتراح برامج جديدة.

خاتمة.

لقد راهنت ورقتنا الواعية بحدودها، على محاولة رأب الصدع الحاصل بين العلوم الإنسانية والاجتماعية التخصصية الضيقة في تعاملها مع الظواهر الاجتماعية، لصالح علوم تعددية، ومن ثمة التعامل مع

31 Mise en ligne sur URL. https://fas.umontreal.ca/etudes/maitrises-dess-et-microprogrammes/programmes-interdisciplinaires/. Consulté le 04/04/2020.

32 Mise en ligne sur URL. https://apps.admissions.ualberta.ca/programs/sa/sa510/etint1.Le .Consulté le 04/04/2020.

الظواهر من حيث هي حلقات متصلة ومنفصلة يشد بعضها بعضا في سلسلة متراكبة بين (التاريخي والنفسي والثقافي والأنثربولوجي ...). وحسبنا في ذلك أن نستدل بأمثال: ماركس، فيبر، بورديو، موران، ...ممن استطاعوا تحطيم الصنمية وكسر الحواجز الواهية بين مختلف الحقول المعرفية المتجاورة.

ومهما كانت مسميات البحث وحقليته (أنثروبولوجيا أو سوسيولوجيا أو تاريخ أو فلسفة....) فذلك لا يكتسي أهمية كبرى. ولكن الأهم أن نجعله "حوصلة لمعارف" جامعة تقرأ الإنسان في أكوانه الممكنة والتخلي عن المقاربات الضيقة لأن التكامل المعرفي بين التخصصات يستدعي تعدّدا في المناويل العابرة للاختصاصات للإجابة عن بعض الإشكاليات الراهنة أو القضايا النظرية والأبستيمية داخل العلوم الإنسانية والاجتماعية ذاتها.

ولكن بناء على اطلاعنا المرتبط بحدود الجهد، وعلى مناقشتنا السابقة، يمكننا القول إن المعايير المعتمدة في تقييم البحوث البينية غير واضحة، للتحقق من صدق مخرجاتها. لا تزال هناك حاجة إلى إيجاد مفاهيم ومصطلحات علمية تتناسب وتتلاحم مع طبيعة البحوث البينية. وضرورة إنشاء مراكز بحثية تربوية تهتم بالدراسات البينية التي ستساعد جيل اليوم وتهيئته لعصر التخصصات المتداخلة في أكثر من مجال معرفي واحد، تضمن الرؤية البحثية المستقبلية في التربية والتعليم، وأهمية استعمال مناهج وأساليب بحثية عابرة للتخصصات، وذلك من خلال إحداث برامج أكاديمية تمنح درجات علمية في تخصصات بينية .

الدراسات البينية في العلوم الإنسانية والاجتماعيّة لن تكون ذات جدوى، إذا لم نجري تغييرًا جذريًّا في كيفية إدارة المعرفة والتصرف فيها (Gestion des savoirs)، وإعادة توزيع الأطر التي تُعرِّف مفهوم البحث العلمي. في عالَم يتسم بالتعقيد وتداخل حقول المعرفة، والحاجة الاجتماعية من جانب آخر.

المصادر والمراجع:

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرّحمان بن محمّد. (1988). **العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الجزء الثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- شحاتة، حسن والنجار، زينب. (2003). **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
- Aboelela, S. W., Larson, E., Bakken, S., Carrasquillo, O., Formicola, A., Glied, S. A., et al. (2007). Defining interdisciplinary research : Conclusions from a critical review of the literature, *Health Research and Educational Trust*, 42. (1). Retrieved from.URL https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/17355595
- Augsburg, Tanya. (2005). *Becoming Interdisciplinary : An Introduction to Interdisciplinary Studies*(Kendall/Hunt) Retrieved from. https://books.google.tn/books?hl=id=0XU5IOC39-8
- Capra, Fritjof. (1983). *Le Temps du changement : Science, société et nouvelle culture*. Rocher. Repéré à URL. https://www.persee.fr/doc/assr_0335-
- Davidson, M. (2004). Bones of contention : Using self and story in the quest to professionalize higher education, an interdisciplinary approach, *Teaching in Higher Education*, 9(3), pp. 299-310. Retrieved. From. URL

https://www.researchgate.net/publication/248966458_Bones_of_contention_using_self_and_story_in_the_quest_to_professionalize_higher_education_teaching_-

- Davies. M. and Devlin, M. (2007). Interdisciplinary Higher Education : Implications for Teaching and Learning. Centre for the Study of Higher Education, The University of Melbourne. Retrieved from https://pesa.org.au/images/papers/2007-papers/davies2007.pdf
- Durkheim, Émile. (1967). *Les règles de la méthode sociologique*.16e éd. Paris. PUF.
- Field, M., & Lee, R. (1992). "Assessment of interdisciplinary programs ". In. *European Journal of Education*. 27. (3). PP. 277- 283. Retrieved from URL. https://scholar.google.com/scholar?q=Field,+M.
- Klein, Julie Thompson . (2011). « Une taxinomie de l´ interdisciplinarité ». *Nouvelles perspectives en sciences sociales*.(vol.7 (1). Dans. NPSS. Publisher(s) Prise de parole. Retrieved From. https://id.erudit.org/iderudit/1007080ar
- Klein, Julie. Thompson. & Newell, William. H. (1998). " Advancing Interdisciplinary Studies". In *William H. Newell. (Ed.), Interdisciplinarity* : Essay from the Literature. New york : College Entrance Examination Board. PP 3. Retrieved from URL.https://www.academia.edu/755658/Interdisciplinary_studies
- Gregg Maloberti. (24/3/2019). "The Importance of Social Sciences" ،Retrieved 21/4/2020.From.URL. https://scholar.google.com/scholar?q=Gregg+Maloberti
- Kristeller, Paul Oskar.(1975) . *Huit philosophes de la Renaissance italienne*. Trad. A. Denis Genève.
- Lenoir, Yves. Et sauvé. (1998). De l'interdisciplinarité scolaire à l'interdisciplinarité dans la formation à l'enseignement : un état de la question. Dans. Revue française de pédagogie Année. N .125. Octobre, novembre, décembre. Disponible en ligne : Repéré à URL. https://doi.org/10.7202/1007080ar 7 (1).
- Maura Borrego & L. K News W. (2010). Defintion Of Interdisciplinary Research : toward, the Review, Of higher Education. Volume,34 Number 1, fall. (Article) Retrieved from . https://vtechworks.lib.vt.edu/bitstream/handle/10919/25471/34.1.borrego.pdf.
- Max-Neef, M. A. (2005). *Commentary : Foundations of transdisciplinarity, Ecological Economics* Volume 53, numéro 1. Retrieved. From. URL https://doi.org/10.1016/j.ecolecon.2005.01.014
- Morin, Edgar(1999) . *Relier les connaissances Le défi du XXI e siècle*, Paris, Seuil.
- Morin, Edgard. (1994). « *Sur l'interdisciplinarité* », dans : Bulletin interactif du centre international de recherches et études transdisciplinaires, n°2, Juin 1994. Repéré à URL https://ciret-transdisciplinarity.org/bulletin/b2c2.php.
- Nicolescu, Basarab. (2011). « De l'interdisciplinarité à la transdisciplinarité » : fondation méthodologique du dialogue entre les sciences humaines et les sciences exactes Sur le thème de l'interdisciplinarité. 7, (1.) Octobre. Retrieved from. URL https://www.academia.edu/32340454/De_l_interdisciplinarit%C3%A9_%C3%A0_la_transdisciplinarit%C3%A9_fondation_m%C3%A9thodologique_du_dialogue_entre_les_sciences_humaines_et_les_sciences_exactes
- Pahre, Robert et Dagan, Mattei. (1991). *L'innovation dans les sciences sociale - La marginalité créatrice (*1er éd). Paris. PUF.
- Piaget, Jean. (1972). « L´épistémologie des relations interdisciplinaires », dans : *L'interdisciplinarité : problèmes d'enseignement et de recherche dans les universités*, Paris, OCDE. Version publier en 1974 dans Internationales Jahrbuch für interdisziplinäre Forschung. vol.1, pp. 154-172 [Version électronique réalisée par les

soins de la fondation Jean Piaget. Réparé à http://www.fondationjeanpiaget.ch/fjp/site/textes/VE/jp72_epist_relat_interdis.pdf

- Robert A. Nisbet (23/3/2019), "Social science" ENCYCLOPÆDIA Britannica, Retrieved 10/3/2020.from. https://www.britannica.com/topic/social-science
- Veronica Boix M & Howard G. (2003). *Assessing Inter disciplinary Work at the Frontier : An Empirical Explo ration of Symptoms of Quality. Cambridge* : Project Zero, Harvard University. Retrieved From. URLhttps://www.jstor.org/stable/4501203?seq=1
- https://fas.umontreal.ca/etudes/maitrises-dess-et-microprogrammes/programmes-interdisciplinaires/.
- https://apps.admissions.ualberta.ca/programs/sa/sa510/etint1.Le.
- Centre international de Recherches et études Transdisciplinaires : CIRET Repéré à URL http://ciret-transdisciplinarity.org/chart.php